

## التناص القرآني في شعر النقااض الأموية

*The Quranic Intertextuality in the Poetry of Opposites Umayyad*AHMED R. A. RAWAJBEH, TENGKU GHANI TENGKU JUSOH, MD. NOR ABDULLAH  
& ZULKARNAIN MOHAMED<sup>1</sup>

## ABSTRACT

*The poets of opposites poems take their knowledge from multi-springs of knowledge. So, the direction of Islamic values were added to the knowledge that take from the past and its literature, and from present Islam and its acquaintances, so the poetic culture was colored with the color of the culture which they take. It was the way for the best poets to serve their purpose and to deliver their messages. There is no doubt that the Quran was afar distance of both recipient and poet for his eloquence this type of poem has been associated with the name of obscenity because of the large number insults and exposure of the taboos. This article came to reveal the relationship between the poetic text and the Quranic text in the poem of the three Umayyad poets and to wipe the dust of obscenity which knighted him and to identify the impact of the holy Quran upon its simple, compound and inspiration system and address the extent of correlation of poetic text and overlap with the Holy Quran.*

*Keywords: the Islamic trend, poets, the complexity of Quran, opposites, intertextuality.*

التناص يعني تداخل النصوص، أي توظيف الشاعر لمقتبسات من نصوص في نصه الشعري، ويهدف الشاعر إلى توصيل رسائل معينة، ليؤدي التناص وظيفة مهمة، وهي توسيع أفضية المعنى في النص الشعري وتعميق التأثير في الملتقي. والتناص مصطلح غربي يندرج "ضمن الحديث عن الدراسات اللسانية ولكن الفكرة بقيت شبه ميتة على الرغم من أن بعض الشكلايين الروس من [شكولوفسكي] الذي فتق الفكرة، فاتخذها عنه [باحثين] ، وقد حولها الأخير نظرية تعتمد على التداخل بين النصوص" (al-Kalamy 2008) وقد بقي النص في الظل لا يرى نور الشمس حتى جاءت جوليا كرسنيفا، الباحثة البلغارية وهي أول من أطلق هذا المصطلح كمصطلح وعرفته بأنه "هو ذلك التقاطع داخل التعبير مأخوذ من نصوص أخرى" (Muhammad 1995).

<sup>1</sup> Ahmed A.R. Rawajbeh\*(Corresponding author), M.A. Ministry of Education, Palestine; Tengku Ghani Tengku Jusoh, Ph.D. Professor at Dept. of Arabic Studies and Islamic Civilization, Universiti Kebangsaan Malaysia, 43600 Bangi Selangor, Malaysia, Email: tjtj@ukm.my; Md. Nor Abdullah. M.A & Zulkarnain Mohamed, Ph.D. Lecturers at Dept. of Arabic Studies and Islamic Civilization, Universiti Kebangsaan Malaysia, 43600 Bangi Selangor, Malaysia. Email: naim@ukm.my.

ويراه ناصر شبانه أنه "صيغة صرفية على وزن تفاعل مما تحمله هذه الصيغة الاشتقاقية من معاني المشاركة والتداخل، بما يعني تداخل نص في آخر سابق عليه، ليمسي لدينا نصان: نص سابق ونص لاحق، بينهما علاقة خاصة قد تبدأ بالمس وتنتهي بالتمازج الكلي حتى يبدو الفصل بينهما في غاية الصعوبة" (Shabanah 2007). و"يعيد النص توزيع اللغة وهو حقل إعادة التوزيع هذه. إن تبادل النصوص، أشلاء نصوص دارت أو تدور في فلك نص يعتبر مركزاً، وفي النهاية تتحد معه، هو واحد من سبل ذلك التفكيك والإنباء: كل نص هو تناص، والنصوص الأخرى تتراءى فيه بمستويات متفاوتة وبأشكال ليست عصية على الفهم، بطريقة أو بأخرى إذ تعرّف نصوص الثقافة السالفة والحالية: فكل نص ليس إلا نسيجاً جديداً من استشهادات سابقة" (al-Biq'iy 1998).

وعلى ضوء التعريفات السابقة نستطيع القول: إن كينونة التناص تتمثل في تداخل أو تشابك أو تعالق نص حاضر مائل مع نص أو نصوص سابقة غائبة، لكنها ماثلة في ذاكرة الشاعر، فهو يزواج نص جديد بنصوص قديمة تتجلى فيها ثقافة الشاعر ودرايته بالنصوص السابقة، ولعله من المقرر المعروف أنّ ثقافة أي إنسان هي حصيلة التعاطي مع ثقافات سابقة مختلفة متعددة المجالات والمستويات، فلا يولد الشاعر شاعراً ولا الناقد ناقداً ولا الباحث باحثاً، إنما وظّف ما اكتسبه في الماضي فيما ينجزه في الحاضر، ولا اعتقد أنني أغالي إذا قلت: إنّ كل عمل أو قول يقوم به الإنسان هو تشابك أو تعالق مع عمل أو قول سابق.

والتناص أكثر التصاقاً بين النص المائل والنصوص الغائبة من الاقتباس، فهو ينحاز عنه بذلك، إذ إنّ الاقتباس غالباً ما يكون مجرد اقتطاع نص سابق وزجه في النص المائل ولكن دون التقابل والاتحاد، أما التناص فيتعلق النص المائل مع النصوص الغائبة إلى درجة الانصهار فلا يسهل الفصل بينهما، ذلك أنه "يعتمد على تحويل النصوص السابقة وتمثيلها في نص مركزي يجمع بين الحاضر والغائب في نسيج مفتوح، قادر على الإفضاء بأسراره النصية لكل قراءة فعالة تدخله في شبكة اعم من النصوص" (al-Sa'dany 1991).

### مظاهر التناص القرآني

ولعل أبهى تجليات الخطاب الديني تتمثل في القرآن الكريم كونه السمة القارّة في ذلك الخطاب، فانكفاء الشاعر إليه شعرياً يعني إعطاء مصداقية متميزة المعاني للخطاب الشعري انطلاقاً من مصداقية الخطاب القرآني نفسه، إذ إنّ القرآن الكريم يعد قمة البيان العربي، وهو أسمي نموذج يحتذى أسلوباً وفكراً وهداية ودستور حياة.

ولم يأت التناص القرآني في شعر النقائض مصادفة أو عفو الخاطر، بل كان مستحضراً يوظّف في سياقات المنجز الشعري تعميقاً وإثراء فنياً وفكرياً، ويبدو أن للثقافة الدينية التي تملك الشعراء وقرب عهدهم بالنبوة وكثرة الفرق الدينية والمناظرات والمجادلات، أسهمت بشكل كبير في تشكيل وتحميد ثقافة شعراء النقائض الدينية على تمايز بينهم، فالفرزدق كان قد قيد نفسه لحفظ القرآن الكريم، وجريير كان أكثر تديناً وتأثراً بالمعتقد الديني، بينما كان الأخطل نصرانياً لا يقرأ القرآن، ولكن هذا لا يعني أنه لم يمتاح من معين القرآن العذب، ولكن لا يقاس بزميله ولعل كفره جعل جريير يتكئ بشكل صائب على العنصر الديني ويجلد الأخطل به كلما أتيحت له الفرصة لذلك.

فليس غريباً إذاً أن يُكسب القرآن الكريم شعَرَ الفحول الأمويين رونقاً وجمالاً فنياً عن طريق التناسق القرآني وتعلق النص الشعري المائل بالنص القرآني الغائب، حيث تلاقت النصوص الشعرية مع النصوص القرآنية في شبكة واحدة لتنتج أدباً حديداً متميزاً ينم عن مدى إندغام ثقافة الإسلام في فكر الشاعر والمتلقي على حد سواء، لأن الشاعر ما وظف النص القرآني إلا ويعلم مدى أثره في نفس المتلقي. فهذا جرير يستقي من الذكر الحكيم فيوظف النص القرآني في الهجاء في قوله (al-Basry 2007):

تَبَيَّنَ فِي عَيْنَيْكَ مِنْ حُمْرَةِ اسْمَيْهَا      بُرُوقٌ وَمَصْفُورٌ مِنَ اللَّوْنِ فَاقِعٌ

ولعل الشاعر يجعلنا في الشطر الثاني من هذا البيت إلى قوله تعالى في سورة البقرة، في بقرة بني إسرائيل: قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفَرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (al-Quran, al-Baqarah 2:69) وبالنظر إلى النص القرآني نجد الشاعر لم يتصرف بالنص إلا بالتشكيل الفني والتقديم والتأخير، حيث إن النصية في الشعرية العربية "تكشف عن تصور يعيد بناء هذه الشعرية ضمن رؤية لها إستراتيجية الإبدال النصي، وممارسة القطعية بطريقة ضمنية أو علنية" (Ibn Khalifah 2006) فهذا جرير يمارس هذه القطعية فيصنع نص متقاطع مع النص القرآني في هجاء الفرزدق مخاطباً والد فتاة تزوجها الفرزدق، معاتباً إياه على تزويجها له (al-Basry 2007):

يَا زَيْدُ أَنْكُحْتِ قَيْباً بِأَسْمَيْهِ حَمِمْ      يَا زَيْدُ وَيُحْكُ وَيُحْكُ مَنْ أَنْكُحْتَ يَا زَيْدُ  
يَا زَيْدُ وَيُحْكُ كَأَنَّكَ هَفْوَةٌ عَبِيًّا      فَيَتِيَانُ شَيْبَانَ أُمُّ بَارَتِ بِكَ السُّوْقُ؟

فالبيت الثاني يتعلق مع النص القرآني: الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ (al-Quran, Fatir 35:29) ويستغل جرير هذا المعنى القرآني العظيم المتمثل بتجارة المؤمن مع الله التي لن تكسد ولن تضيع هباءً، ويوظفه في التشنيع على الفرزدق، فجعله في أدنى مراتب الناس، إذ يسأل الشاعر زيقاً هذا هل بارت بك السوق حتى زوجتها للفرزدق؟ فاستخدم لفظة "بارت" الفعل الماضي بدل الفعل المضارع "تبور"، واستخدم كلمة "السوق"، وجاء في الآية "تجارة"، ومع ذلك بقيت دلالة اللفظ على حالها والفضاء الديني بقي كما هو. وينهل الفرزدق من معين القرآن الكريم ليقارن بين أحساب قومه الباذخين المترفين وأحساب جرير فيقول:

أَتَعْتَدِلُ أَحْسَابَ أَكْرَامٍ أَمْ حَمَاهُ      بِأَحْسَابِكُمْ؟ إِيَّ إِلَى اللَّهِ رَاجِعٌ  
وَكُنْتُ إِذَا الْمَجْبُورُ صَغَرَّ خَدُّهُ،      صَغَرَّتْ رَيْنَاهُ حَتَّى تَسْتَقِيمَ الْأَحْدُ

(Fa'ur:n.d.)، يبدو أن الشاعر أحدث تغييراً في بنية النص القرآني: الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (al-Quran, al-Baqarah 2:156) مما يتناسب مع قافية البيت، ولعله ابرز بذلك تعظيم الذات وتهميش الآخر، وهذا يتناسب مع نفسية الفرزدق المتعالية، فقد احتكم إلى الله سبحانه وتعالى على ضرب من السخرية من جرير وقومه المنبتقة من

الاستفهام التهكمي (أتعذل). كما تداخل البيت الثاني في قوله تعالى: وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (al-Quran, Luqman 31:18)، التي برزت فيها حقارة المتكبرين في أقبح الصور التي رسمها القرآن الكريم لهم، وكأن الشاعر استلهم هذا المعنى ليكشف زهوه وكبريائه، فضلاً عن شجاعته التي عمد إلى إظهارها. ومن الاستحضارات التناصية التي أريك فيها جرير خصمه الفرزدق هذا التركيب القرآني الذي اتكأ عليه، فجعله في قول (al-Basry 2007):

يَتَلَاوَمُونَ وَقَدْ أَبَاحَ خَيْرُهُمْ قَمِيئًا أَخْلَهُمْ بِمَدَارٍ بَارِئًا

ولا تخفى العلاقة التناصية بين الشطر الثاني وقوله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (al-Quran, Ibrahim 14:28)، وهو يريد بذلك الهلاك، فجعل الصورة ترسم ذاتها كما رسمها القرآن الكريم بفارق الأفراد في بيت الشعر بالضمير العائد على الفرزدق والجمع في قوله تعالى (أحلوا)، فلم يجد الشاعر أعظم قدرة على التعبير وأبلغ أثراً في النفوس من كلام الله تعالى فاستعاره لذلك، فيكون بذلك اعتمد على "تداخل النصوص أو تعالقها، تكنيفها أو تحاورها في بناء رسوبي عميق هو المقترب التناصي الذي بموجبه تفسر النصوص بعضها بعضاً" (al-Sa`dany 1999).

وتتجلى قدرات الفرزدق في سياق المدح حيث يعترف من معين القرآن الكريم ليدبج منجزه الشعري ويرصعه بلوحات فسيفسائية؛ لينال رضی الممدوح كونه خليفة أو قائد يجب أن تُسبغ عليه حلل الدين والتقوى والورع. "فالنص صيرورة وتحويل وتجاوز، ولا يمكن عدّه مادة لها أبعاد ثابتة، إنه بأبعاده اللفظية تجاوز للواقع، وزعزعة للجمود، وفي هذا تكمن حركيته، والنص متقاطع مع سائر النصوص، وقد أعيدت صياغتها أثناء بنائه، فهو بناء زخرفي، تتنوع مكوناته، وآيات القرآن الكريم مصدر من مصادر بنائه يتجاوز الثابت والمألوف، وتصاغ الآية الواحدة صياغات عديدة تتلاءم مع غاية الشاعر" (Abu Sharar 2007) ففي مدحه لهشام بن عبد الملك أعاد صياغة النص القرآني، وجعله ينصهر في المنجز الشعري، كقوله:

وَجِبْتُ لِلَّهِ خِيْلًا مِمَّنْ يَنْأَلُهُ فَمَا لِعُرِّيٍّ إِلَيْهِ مِنْ انْفِصَامِ  
فَجَاءَ بِسُنْبَةِ الْعَمْرَيْنِ، فِيهَا شِمَاءٌ لِلصَّادُورِ مِنَ السَّمِصَامِ

(Fa'ur: n.d)، فقد تعالق الشاعر في نصه المنتج مع أكثر من آية تنسجم مع هدف الشاعر وفيها تقاطع واحد يشير إلى مدح الخليفة بالإيمان والقوة والوحدة والشفاء من السقام، ففي البيت الأول في شطره الأول يتقاطع النص مع قوله: وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (al-Quran, Ali `Imran 3 : 103) وبقوله (وحبل الله حبلك)، فقد جعل حبل الخليفة كحبل الله الذي يعتصم به الناس جميعاً، وفي الشطر الثاني يتعالق بقوله (العرى... انفصام) مع قوله تعالى: لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْعِيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. (al-Quran, al-Baqarah 2:256).

مع تغيير في بنية العرى التي جاءت "العروة" في الآية الكريمة ولكن الدلالة التي أرادها الشاعر تنسجم مع دلالة الآية الكريمة، فلا انفصام لمن يستمسك بالعروة الوثقى ويؤمن بالله، كما لا انفصام لمن يتمسك بجبل الخليفة ولا ينفصم عنه. وفي البيت الثاني تناص الشطر الثاني منه في عبارة (شفاء للصدر) مع قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ فَدَجَاءْتُكُمْ مَوْعِظَةً مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءً لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ (al-Quran, Yunus 10:57). فقد تقاطع النصان عند الشفاء في الصدر من العلل والمرض، فالموعظة فيها شفاء ورحمة لصدور المؤمنين، وسنة العمرين التي التزمها هشام بن عبد الملك فيها شفاء لصدور المؤمنين من السقام والجهل والارتباب.

ونجد الفرزدق يخاطب رفيق رحلته الذي اخذ النعاس يداعب جفنيه، فيخلق فضاءات دينية تمتزج في بنية المنجز الشعري من خلال هذه الإشارات التي ينجح الشاعر في نقل المتلقي إلى حيث يريد ويجعله يعتقد بما يقوله مستفيداً من القوة الإعجازية التي تمتع بها القرآن الكريم، والتي "تغني النص جمالياً، وتكسبه بعداً انفعالياً، مبعثه الإحساس الجمالي بالنص، والقرآن الكريم بكل طاقاته البلاغية يتضمن صوراً ناجزة، يستطيع الشاعر أن يعثر عليها؛ لينقلها من موقعها الأصلي إلى موقع جديد، يتناسب مع دلالتها؛ فتصبح جزءاً من النص الشعري، تنسجم معه، وتتألف مع عناصره؛ فتضحى عنصراً حيويًا فعّالاً، يتميز بقوة تأثيره؛ فيتفوق في ذلك على باقي عناصر النص" (Abu Sharar 2007)، كقوله (Fa`ur n.d) :

سَيُذْنِيكَ مِنْ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ، فَأَعْتَدَلْ، تَتَأْتِيكَ نَصٌّ السَّيَعَمَلَاتِ الرَّؤُوسِ  
إِلَى الْمُؤْمِنِ الْفَكَاكِ كُـلُّ مُقَيِّدٍ يَدَاهُ وَتُلْقِي الثَّقْلَ عَنْ كُلِّ غَارِمٍ

فمن الواضح أن الشاعر في البيت الأول فتح للمتلقي فضاءً روحانياً عندما وظف (خير البرية) التي ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى: الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (98:7) (al-Quran, al-Bayyinah) فقد تساوق الشاعر في استخدام العبارة لفظاً ومعناً مع القرآن الكريم، وهو الثناء على الممدوح بأنه صاحب إيمان وصلاح وهذا ما عبرت عنه الآية، ولعل ذلك يجعل المتلقي يثق بصدقية النص ويجعل الممدوح يشعر بالرضا والاطمئنان.

فالتناص نوع من التأويل، يتحرك فيه المتلقي بحرية وتلقائية، وذلك بإرجاع النص إلى بعض العناصر الأولى التي شكّلها بغية الوصول إلى فك شفراته المتكونة من ثقافة المبدع؛ إذ عبر التناص تتحول تلك الثقافة اللغوية إلى رموز يسعى المتلقي لتفسيرها من أجل الوصول إلى ماهية الشعر، (Abu Sharar: 2007)، فهو حين يجعل من تكذيب الأخطل وقومه للرسول وجبريل وميكائيل حجة تسوّغ له الانتقاص منهم يرتكز على قوله تعالى: مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (al-Quran, al- Baqarah 2 :69) :

عَبَدُوا الصَّالِيَةَ وَكَذَّبُوا بِحُجَّتِهِ  
وَجِبْرِيلَ وَكَذَّبُوا مِيكَالَ قَتْلِي

وفي معرض ترجيح كفة قيس على غيرها يقول (Tammas 2000) :

عَرَفُوا الْكِتَابَ وَصَدَّقُوا بِحُجَّتِهِ  
وَرَضُوا بِعِيَّتِهِ بِعِدَّةِ الْأَوْثَانِ

(al-Yasu'iy 1922) فقيس عرفت الحق وأمنت به واتبعته، على نقيض تغلب النصرانية، وكأنه بقوله (عرفوا الكتاب) يحيلنا لقوله تعالى: الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (al-Quran, al-Baqarah 2:146). لعل هذا التوظيف لألفاظ الذكر الحكيم في هذا البيت لا ينسحب على المعنى بشكل عام؛ لأن المعرفة التي أرادها القرآن الكريم تختلف عن المعرفة التي أرادها الشاعر فلكل معرفة وجهتها واتجاهها، ولكن النص الشعري أصبح نسيجا واحدا منفتحا على عوالم علوية قدسية مشرقة.

والتنصص تلك الظاهرة اللغوية المعقدة التي "تستعصي على الضبط والتقنين إذ يعتمد في تميزها على ثقافة المتلقي وسعة معرفته وقدرته على الترجيح" (al-Dahun 2001). ويستغل جرير مثل هذه الثقافة ليحط من شأن خصومه فيرتشف الصور من آيات القرآن الكريم؛ ليجعل شعره أكثر فتكاً وإيلا ما لخصمه كمثل قوله (Tammam 2008):

أَبْلِغْ بَنِي وَبَنِي أَنْ خُلِّمُوا مَعَهُمْ      خَفَّتْ فَمَا يَرْنُونَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ

ولعل البيت يحيلنا إلى قوله تعالى: وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ (al-Quran, al-Abiya 21: 4) ولكن الشاعر تصرف في الدلالة إذ خرق دلالة الآية إلى دلالة أخرى، فالله سبحانه تحدث عن العدل والقضاء بالقسط يوم القيامة، فلا يظلم الناس مقدار حبة خردل، أما جرير فقد جعل الدلالة تنصرف إلى الحط من شأن خصمه، فيسمهم بالسفه والطيش فعقولهم لاتزن حبة خردل. وجرير يوظف تلاحق النصوص القرآنية بالمنتج الشعري في الغزل على نمط العذريين، حين يقول (Tammam 2008):

رَغِبْتُ إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ مَوْلىَ مُحَمَّدٍ      لِيَجْمَعَ شَيْئاً أَوْ يُقَرِّبَ نَائِباً

أَذَا الْعَرْشِ! إِنِّي لَسْتُ مَا عَشْتُ تَارِكاً      طَلَابِ سُلَيْمِي، فاقض ما كُنْتُ قَاضِيَا

فالشاعر يستنير بقبس من الذكر الحكيم ممتصاً ومحوراً البنية القرآنية بما يتماها مع رؤيته وموقفه الشعوري، فالتحكم بلغة الشعر بكل ما تتضمنه من مثيرات هو دليل على قدرة الشاعر على الإبداع في تشكيل بناء متكامل، والقرآن جانباً من هذا التشكيل، كما في البيت الثاني، إذ شكلت الآية القرآنية مركزاً في إبداع النص كقوله تعالى: قَالُوا لَنْ نُؤْتِيكَ عَلَيَّ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا ۖ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (al-Quran, Taha 20:72). فجرير يضطر إلى أن يستبدل (كنت) بدلا من (أنت)، وأن يزيد (يا) ليبوح بالبكاء والحرقه من بعد (سليمي)، فضلا عن أهمية التنصص في الكشف عن نفسية الشاعر لاستعدادها للفناء والهلاك إذا لم تكن بالقرب من المحبوبة. ويتضح أن الشاعر حاد بالنص القرآني عن سياقه الأصلي إلى سياق جديد وهو التمسك والتفاني في سبيل طلاب سلمى.

والأحطل ينغمس في هذا التعالق النصي فيحيلنا إلى خطاب قرآني مختزن في الذاكرة تتولد معه شبكة تعالقية لحظة توليد النص الشعري فيلون منجزه بلوحة فسيفسائية مبدعة كقوله (al-Hawy:n.d):

أَحْيَا إِلَهُ لَنَا الْإِمَامَ فَأَتَيْتُهُ      خَيْرُ الْبَرِيَّةِ لِلذُّنُوبِ عَفْوٌ

نورٌ أضاء لنا البلادَ وقد دجث      ظلُّمٌ تكادُ بما الهداهُ تجورُ

أفبما أن "القرائن المعرفية عادة تعمل على توسيع الأفق الدلالي للاستراتيجيات النصية الفاعلة في العمل الشعري" (al-Sa`dany 1991) فقد جعل الممدوح يصطبغ بصبغة إسلامية خالصة ممتلئاً بهذه القرائن، حيث ارتكز على تناسعاني آيات عدة في هذين البيتين، ففي قوله (خير البرية) استند إلى قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (al-Quran, al-Bayyinah 98:7). وفي قوله (للذنوب غفور) استند على قوله تعالى (al-Quran, Ali-Imran 3:31) قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ وفي البيت الثاني استند على قوله تعالى: يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (al-Quran, al-Maidah 5 :61). ولعل هذا الأخذ الواسع لألفاظ وتعابير القرآن الكريم وتوظيف القصص القرآني والمصطلحات الإسلامية، يشير بشكل أو بآخر إلى مدى واندغام الإسلام في ثقافة الشاعر وقدرته على التساوق معه كدين الدولة والمجتمع وإن كان لا يدين به، ومن ذلك قوله (al-Yasu`iy 1922):

عفا واسيطٌ من آل رضوى فنبئك      فمختمغ الحزبن فالصبر أجمل

فنجد هنا أنه قد تحقق للأحطل في هذا البيت ما أراد، حيث استطاع بعبارة واحدة "أن يحيل إلى مشهد قرآني متكامل، ولكن في ذهنه قارئ يشاركه ثقافته وتجربته" (Abu Sharar 2007) فعبارة (فالصبر أجمل) ارتشفها الشاعر من آية كريمة هي قوله تعالى: وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (al-Quran, Yusuf 11: 82) فقد أحالتنا إلى قصة يوسف عليه السلام بعبارة مركزة. ولا نعدم التناسع الإيحائي في الغزل فقد اتكأ عليه جرير في حديثه عن سماع صوت المحبوبة التي توهم قريها في قوله (Tammam 2008):

خيلك! ألا أن تظني بي الهوى      على ما تترى من هجرتي واجتنبنا  
فقال! فاستمع صوت المنيادي لعلهُ      قريب، وما ذاتيئتُ بالودد ذاتيئا

إنه التنبؤ لسماع صوت المحبوب الذي يتوهم قريها، فيومئ للمتلقي بفتح فضاء القصص القرآني الذي تماثل فيه هذا الموقف وهو تنبؤ يعقوب عليه السلام عندما إشتتم ربح يوسف علي السلام في قوله تعالى: وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ (al-Quran, Yusuf 12: 95) ' فالشاعر يخاف أن ينعت بالجنون وإلا لقال لصحبه: إنه يسمع صوت (عقيلة) تناديه. وهذا يرتد بنا إلى يعقوب عندما اشتتم ربح ابنه يوسف عليهما السلام. على أن الاختلاف بائن في صدقية التنبؤ، فبشارة يعقوب عليه السلام على وجه الحقيقة لا التوهم، أما بشارة جرير بسماع صوت المحبوبة فهو وهم لا حقيقة. ومثل هذا التناسع نجده في قول الفرزدق كذلك (al-Yasu`iy 1922):

فأنعق بضأنك يا جريز فأنما      متتاك نئسك في الحلاء ضلالا

فهو يومئ هنا إلى آية قرآنية كريمة لم يذكرها في البيت وهي قوله تعالى (al-Quran, al-Baqarah 2: 14) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْرَجُونَ. فالخلاء والاختلاء بالنفس يشير إلى الاختلاء بالشیطان، وجعل الضلال هو جامع مشترك ما بين خلوة جرير وقول المنافقين، فالشاعر هنا في حالة إيماء " لما يكمن في النفس من إحساس، ينطلق من عالم اللاوعي المتأمل في الواقع تأملاً باطنياً، يحاول أثناءه أن يرسم صورة جديدة، يشكلها الحدس لعالم غير خاص تشكيلاً خاصاً، تختفي معه هيئة ذلك العالم الراسخة في الذهن" (Abu Sharar 2007) وقد أومئ الشعراء بمثل هذا بالإشارة إلى عقر ناقة صالح بآية أو جزء منها كقول الأخطل الذي استوحى فكرة قوم صالح، فعبر عن الذين عقروا الناقة (براغية السقب) في قوله (al-Yasu'iy 1922) :

لَعَنَرِي لَقَدْ لَاقَتْ سُلَيْمٌ وَعَامِرٌ عَلَىٰ جَانِبِ الثَّرَا زَاغِيَةً السَّقْبِ

فجعل بني سليم وبني عامر يلاقون من العذاب والقتل ما لاقاه الذين عقروا الناقة، فأومئ لنا بالقصة دون أن يذكر آية صريحة من قوله تعالى ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۝﴾ (al-Quran, al-Shu'ara' 26:198) فالإنتاجية "الشعرية عملية استرجاع النصوص القديمة، وقد يكون الأمر بشكل خفي أحياناً، بل يمكن أن يكون هذا الانتهاج الشعري تحويرات لما سبقه" (al-Ruba'iy 2006). ويستقط جرير بعض الشخصيات والأقوام الواردة في القرآن على شخصية المهجو، فقد ربط جرير عرادة النمرين بقصة قوم لوط في قصيدته الدافقة وذلك يقول (Tammam 2008):

عَرَادَةُ مِّنْ بَيْتَةِ قَوْمِ لُوطٍ أَلَا تَبَّأ لِمَا عَمِلُوا تَبَا

فقول الشاعر (قوم لوط) يوحى للمتلقي ويحيله إلى قصة قوم لوط التي اختزنها في الذاكرة ولا ترتباطها بالقرآن الكريم الذي تمتع بصدقية عالية في نظر المتلقي، مما يجعله يعمق أثر الهجاء ويقارب التشبيه بين عراد وقوم لوط في الفسق والفجور والمحازي المشينة، وهو بذلك يحيل المتلقي إلى قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ. إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ (al-Quran, al-'A'raf: 80-81) وقوم لوط هم الذين يأتون الذكران من العالمين ويدرون ما خلق الله لهم، وقد نعت الشاعر عرادة، أنه من بقية قوم لوط فألصق به ما أسقطه عليهم القرآن من خزي وعار. فالتناص على درجة من الأهمية فلا يعدم أن يكون "وسيلة تواصل لا يمكن أن يحصل القصد من أي خطاب لغوي بدونه" (Miftah 1986).

إن "وظيفة التناص الأساسية تكمن في الوظيفة التي يقوم بها، ليخدم هدفاً ويقوم بمهمة سياقية ليثري من خلالها النص ويمنحه عمقا، ويشحنه بطاقة رمزية لا حدود لها ويكون بؤرة مشعة لجملة من الأبحاث (al-Bady 2009) فشحنة الطاقة هذه يستغلها جرير فلا يترك فرصة يخاصم فيها الأخطل في الدين إلا استفاد منها، وأحسن استغلالها حتى في الموت والجنائز كقوله (Tammam 2008):

تَعَشَّى الْمَلَائِكَةُ الْكِرَامُ وَقَاتَبَا وَالتَّغْلُ بِحِيٍّ جَنَازَةَ الشُّطَّانِ يُطَانِ

فيستغل الشاعر مخزونه الثقافي الديني الذي جعل منه عصاً غليظة يطرق بها الأخطل فينتقص منه حتى في سبيل الموت، وهو يعلم أنه لا قدرة للأخطل على نقض مثل هذه المعاني، فأومئ آيات من القرآن الكريم كقوله تعالى: الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. (al-Quran, al-Nahl 16:32) فكلما النصين القرآني والشعري يعبر عن احتفاء الملائكة بأموات المؤمنين، ولعله استمد عبارة "والتغلي جنازة الشيطان" من قوله تعالى: فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَارَهُمْ. (al-Quran, Muhammad 47:206) ويبدو هذا التنصيص صادر عن وعي، وهو الذي "يقصد إليه الشاعر أو الكاتب قصدا، ويعرف مصدره ويستخدمه استخداما فنيا له غايته ووظيفته"-al). (Sanjalawy 1988 وفي تعبير مجاشع لعدم نجدة الزبير وغدرهم به يقول جرير (Tammas 2008):

لَا تَذْكُرُوا خُلُقَ الْمَلِكِ فَمَا كُنْتُمْ  
بِعَدِّ الزُّبَيْرِ كَحَائِضٍ لَمْ تُغْسَلِ

فجعل القذارة والنجاسة التي تلازم مجاشع؛ لغدرهم بالزبير كحال الحائض تنفي عنها النجاسة بانقطاع الدم والاعتسال، وهو الذي لن يتحقق مجاشع، وهو بذلك يحيلنا إلى قوله تعالى: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النَّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ السَّوَائِرَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ. (Quran, al-Baqarah 2:222) وقد امتلك الشاعر مهارة فنية في الإفادة من النص القرآني وأحسن توظيفه والإحالة إليه، ويكشف فضاءات ثقافية واسعة تجعل القارئ ينتقل إلى لوحات متنوعة بين الشعر والقرآن الكريم. وهذا يعني أن التنصيص يشكل النص الجديد، ولكنه بعد أن يعيد إنتاجه وإخراجه وصياغته بعد تمثيل وتحويل نصوص متعددة في نص جامع يحتوي زيادة في المعنى (al-Ruba'iy 2006). ويستند الأخطل على مثل هذه الإحالات في المدح للخلفاء والولاء، وفي الهجاء كما فعل في هجاء قيس عيلان فيقول (al-Hawy, n.d):

كأنا ذوي أمية، حتى إذا علقته  
بهم حباييل للشيطان وابتهورا  
صكوا على شارف، صبغ مراكبها  
خصماء ليس لها هلب ولا وبر

فهم بخروجهم على بني أمية بعد أمنهم ورغد عيشهم كمن يوسوس له الشيطان ويغرر به فيركب مركباً وعرأ، يشبه إلى حد كبير ركوب الناقة المسنة التي لا وبر لها وجسمها هزيل وهذا المعنى يندغم في قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (al-Quran, Ibrahim 14: 28) وقوله تعالى: وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (al-Quran, al-Nahl 16:112) فالشاعر يستمد "جانبا من فكرة النص القرآني ليحذف، ويضيف بما يتلاءم مع وضعيته النفسية، فالنص القرآني يتكيف مع النص المنتج" (Abu Sharar 2007) ففي مدح بني أمية يسلك هذا المسلك الذي يرضي المدحون، ويتفق مع إيديولوجيتهم في الحكم، فيمتاح من معين القرآن الكريم ليسبغ عليهم هالة من الإجلال والإكبار؛ لأنهم يلتزمون بما أمر الله وهو يحتكم إلى كتاب الله ليجعل حكمهم قادراً رانياً لا مندوحة عنه، وهو يعمل على استنطاق

لغة القرآن لتحقيق مراده، فالقرآن الكريم " تجسيد للغة وللفكر في هذه اللغة، فهو أثر لغوي يبسط على سائر المجالات اللغوية، وفي حضوره المهيمن مغزى خاص، والشعر أحد تلك المجالات المتأثرة باللغة القرآنية" (Abu Sharar 2007):

لَمْ يَأْشُرُوا فِيهِ، إِذْ كُنَّا نَمُوتُ بِمَوَالِيهِ  
وَلَوْ لَقِوْهُمْ غَمًّا بِرِجْمِ أَشْرَارِهِ

(al-Hawy:n.d) فهو يرتشف في ذلك معنى قوله تعالى: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوَارَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَيْبٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوْقِهِ يُعْجَبُ الرَّبُّعُ لَيُغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (al-Quran, al-Fath 48: 29). فالقوة والشدة على العدو والرحمة على المسلمين من خير ما ينماز به المؤمن.

"ومن هنا استقرت فكرة الارتداد إلى الماضي، وتعامل الشعراء مع التراث، فكل كاتب لا بد له قبل الرجوع، واعيا أو غافلا، إلى كل ما هو ماضٍ والتعامل معه، ولكنه يستخدمه بشكل يحفظ له خصوصيته فيأخذ منه ما يتناسب ونحجه" (al-Ruba`iy 2006). ولعل أشرف ما يُرَدُّ إليه القرآن الكريم، آخر الكتب السماوية وافصح لسان عربي مبين، لذلك نتبن مدى تماهي الثقافة القرآنية بالمنجز الشعري، حيث استمد الشعراء من نبعه الثر ما يزين قولهم ويقوي منطقهم.

## References

- Al-Quran Al-Karim.  
 Abu Sharar, Ibtisam Musa Abd al-Karim. 2007. *al-Tanas al-Qurani wa al-Tarikhi fi Syi'r Mahmud Darwish*. Risalat al-Majistir. Jami'at al-Khalil.  
 al-Bady, Hussah. 2009. *al-Tanas fi al-Shi'r al-Arabi al-Hadith-al-Barghuthy Namudhajan*. Amman: Dar Kunuz al-Ma'rifah.  
 al-Basry, Abu 'Ubaydah Muammar Ibn al-Muthana al-Taymi. 2007. *Kitab al-Naqa'id -Naqa'id Jarir wa al-Farazdaq*. Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.  
 al-Biq'a'i, Muhammad Khir. 1998. *Dirasat fi al-Nas w al-Tanasiyyah*. Halab: Markaz al-Inma' al-Hadari.  
 al-Dahun, Ibrahim Mustafa Muhammad. 2001. *Al-Tanas fi Shi'r Abi al-'Alaa al-Ma'ri*. Irbid: 'Alam al-Kutub.  
 Fa'ur, Ali. n.d. *Diwan al-Farazdaq*. Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyah.  
 al-Hawy, Ilya S alim . d.t. *Sharh Diwan al-Akhtal al-Taghlabi*. Beirut: Dar al-Thaqafah  
 Ibn Khalifah, Mashry. 2006. *al-Shi'riyyah al-Arabiah-Mar'iyatuha wa Ibdalatuha al-Nasiyyah*. Amman: Dar al-Hamed li al-Nashr wa al-Tawzi'.  
 al-Kalamy, Najiyah Muhammad. 2008. *al-Tanas al-Qurani fi al-Shi'r al-Liby al-Hadith*. Majallah al-Satel. Jami'ah al-Sabi' Min October. Libya. al-'Adad. 4.  
 Miftah, Muhammad. 1986. *Tahlil al-Khitab al-Shi'ry Istratijiyyah al-Tanas*. al-Maghrif: al-Markaz al-Thaqafi al-Arabi.  
 Muhammad, Abd al-Mutalib. 1995. *Qadaya al-Hadathah 'ind Abd al-Qadir al-Jalajani*. Cairo: Sharikah Abu al-Haul li al-Nashr.  
 al-Ruba'iy, Ruba Abd al-Qadir. 2006. *al-Balaghah al-Arabiyah wa Qadaya al-Naqd al-Mu'asir*. Amman: Dar Jarir.

- al-Sa'dany, Mustafa. 1991. *al-Tanas al-Shi'ry Qira'ah ukhra li Qadiyat al-Sariqat*. Alexandria: Munsha'at al-Ma'arif.
- Shabanah, Naser Jabber. 2007. *al-Tanas al-Qurani fi al-Shi'r al-Arabi al-Hadith*. Majallah Jami'at al-Najah al-Wataniyyah li al-Abhath (al-'Ulum al-Insaniyah). al-Mujallad 21(4).
- Sharrad, Shaltagh Abud. 1987. *Athar al-Quran fi al-Shi'r al-'Arabi al-Hadith*. Damascus: Dar al-Ma'rifah.
- al-Sinjalawy, Ibrahim. 1988. *Dalalat al-Tadmin fi Khawatim Qasaid Abi Nawas*. Damascus: Majallah Jami'at Dimashq. al-'Adad (9).
- Tmmas, Hamdu. 2008. *Diwan Jarir*. Beirut. Dar al-Ma'rifah.
- al-Yasu'iy, Antwan Salihani. 1922. *Naqa'ad Jarir wa al-Akhtal*. Beirut: al-Matba'ah al-Kathulikiyah li al-Aba' al-Yasu'iyyen.